آيات الإضاءة في القرآن الكريم
[دراسة موضوعية]

د. بشير كريم مهدي

الجامعة العراقية
كلية العلوم الإسلامية - قسم التفسير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد؛ فإن القرآن هو ينبوع الحياة لما فيه من أحكام ومعاملات وعبر وأخلاق تقوم الإنسان في مسيرته إلى الآخرة وقد تنوعت أساليبه في طرحه لكثير من الموضوعات وقد كان أساس هذا التعبير هو أسرار اللغة العربية فكثرت فيه ما وجد في كلام العرب وأساليبهم من تشبيه واستعارات وأمثال تشد القارئ وتبهره بنظمه الجميل والعجيب والذي أعجز أساطين البلاغة أن يأتوا بمثله وقد تنوعت نظرت المفسرين في بيان معانيه وذكر مبانيه فانهالوا عليه يفسرونه حسب اتجاهاتهم في بيانهم له وقد استجد في الساحة عنوان جديد قد أيده كثير من المتأخرين في النظر إلى القرآن من خلال موضوعاته التي يعالجها دون التقيد بتفسيره آية آية إلى منتهاه والتي غلب عليها طابع التحليل وهذا الدراسة التي تتناول الموضوعات أطلق عليها الدراسة الموضوعية ودراستي تصب في هذا الاتجاه لمعالجة موضوع من الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الكريم وهي ألفاظ الإضاءة في القرآن الكريم وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث المقدمة كان نصيبها بان أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه مع خطة البحث أما المبحث الأول فقد خصصته للتعريف بالإضاءة في اللغة والاصطلاح ومساحة مادتها والألفاظ ذات الصلة.والمبحث الثاني: فقد درست فيه أثر الإضاءة في تصوير الضلال بعد الهدى، وضياع الجهد.من خلال التشبيه الذي يعد أحد أركان علم البيان ثم المبحث الثالث: كان

فيه من نظرة للكون من خلال ضياء الشمس كونه ديمومة النهار الذي فيه المعاش للبشر ثم المبحث الرابع: لرصد العلاقة بين الإضاءة والهداية وأثرها في ضرب المثل لله تعالى. ثم أتيت إلى الخاتمة لأبين فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة الماتعة والتي وقفت فيها على حقيقة الإضاءة في الكون والقرآن والكتب السماوية ثم ثبتا للمصادر والمراجع والتي كانت كتب التفسير وعلوم القرآن والمعاجم اللغوية أساس هذه الدراسة وأخيرا أسال الله تعالى أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه الكريم وأن ينال استحسان القارئ الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

تعريف الإضاءة في اللغة والاصطلاح ومساحة مادتها والألفاظ ذات الصلة

لكي نحيط بالموضوع من كل جوانبه حتى نصل إلى حقيقة الإضاءة لابد من أن نعرج على مفهومها في اللغة والاصطلاح ومعرفة مساحتها في القرآن الكريم ومعرفة الألفاظ ذات الصلة والتي قاربت مادتها في أصل اللغة فتتضح لنا حقيقة هذه الإضاءة وهذا ما سأتناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول

التعريف بالإضاءة في اللغة والاصطلاح.

الإضاءة مصدر أضاء يضيء إضاءة بمعنى الإنارة والإشراق والإظهار وفعله الثلاثي ضاءَ يَضُوءُ ضَوْءاً وضُوءاً وضِياءً[1]. يتبين لنا أن أصل الضياء واويا فقلبت الواو ياء لكسرة ما قلبها وقد همز فقيل ضاء.

يقال ضاء القمر بمعنى أنار وأشرق قال تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ

(١) ينظر:الأزمنة وتلبية الجاهلية: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب (ت: ٢٠٦هـ) المحقق: د حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة: ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م:١٨.

نَارٌ ﴾[1] ... وأضاء المِصباحَ ونحوَه: نوَّره ... أضاءتِ النَّارُ الشَّيءَ: أظهرته»قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[2][3].

قال ابن فارس: الضاد والواو والهمزة أصل صحيح، يدل على نور. من ذلك: الضوء والضوء بمعنى، وهو الضياء والنور[4]. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾[5] .

يتبين لنا أن الإضاءة غالبا ما تستخدم في الأمور المعنوية فالإشراق والإنارة والظهور أمور معنوية والله تعالى أعلم: أما الإضاءة في الاصطلاح فهي تعني: فرط الإنارة من الضوء الذي هو النور البالغ القوي[6]

(١) سورة النور من الآية: ٣٥.

(٢) سورة البقرة من الآية:١٧.

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م:٢/ ١٣٧٣.

(٤) ينظر : مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م:مادة(ضوأ):٣/ ٣٥٩.

(٥) سورة البقرة من الآية:١٧.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة: ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م:٥٤.وينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت:١٣٧.

المطلب الثاني

مساحة مادة الإضاءة في القرآن الكريم .

لقد جاءت لفظة الإضاءة على صيغ متعدد منها الاسمية ومنها الفعلية لتؤكد حقيقة ورودها في السياق القرآني مما يدلل على أن اللفظة متصرفة حسب ما تأتي به في الجملة لإظهار المعنى المطلوب وسوف أستعرض هذه اللفظ من القرآن الكريم ذاكرا مكان ورودها في السورة مع ذكر رقم الآية ومكيها ومدنيتها حسب الجدول الآتي:

ت	السورة	مكية أو مدنية	اللفظة	الآية	رقم الآية
١	البقرة	مدنية	أضاءت	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧
٢	البقرة	مدنية	أضاء	﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾	٢٠
٣	يونس	مكية	ضياء	﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾	٥

٤	الأنبياء	مكية	وضياء	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٨
٥	النور	مدنية	يُضِيءُ	﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾	٣٥
٦	القصص	مكية	بضياء	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾	٧١

بعد وضع اللفظة في جدول تبين لنا أنها جاءت بصيغة الماضي في سورة البقرة في موضعين الأول في الآية ١٧ والآية ١٨ مرة بالماضي المتصل به تاء التأنيث الساكنة؛ لأنه يتحدث عن النار في حالة تشبيه حال المنافق وما عليه من كفر حين يستضيء بنور الإيمان ثم ينفلت عنه بهذه الحالة الحسية من استيقاد النار والتي تدل تقريب الحالة المتخيلة في صورة حسية وذلك من خلال تشبيه حال المنافقين بهيئة محسوسة من باب إلحاقا الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة؛ لأن النفس إلى المحسوس أميل...وهو هنا من قبيل التشبيه لا من الإستعارة ؛لأن فيه ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهي لفظ مثل. فجملة: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا واقعة من الجمل الماضية موقع البيان والتقرير والفذلكة، فكان بينها وبين ما قبلها كمال الاتصال فلذلك فصلت ولم تعطف[1]فعبَّر القرآن في ثنايا هذا التشبيه بـ «الإضاءة» في حال الإثبات، وبـ «النور» في حال النفي دون الإضاءة، ليفيد الذهاب بكل ما حصل لهم من نور. وإحلال الظلام محله. ولو عبَّر بنفي

(١) ينظر: التحرير والتنوير»تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ: ١/ ٣٠٧

الإضاءة لأفاد ذلك نفى الزيادة في النور مع بقاء أصل النور؛ لأن إضاءة «فرط النور»[1].

وقد جاءت كلمة أضاءت في سياق لما الشرطية غير الجازمة والتي تفيد معنى وجود شيء لوجود شيء غيره[2] أما الآية ٢٠ .

فقد جاءت بصيغة الماضي في سياق كلما والتي تفيد التكرار؛ لأن ضوء البرق متكرر ولهذا جاء ت الإضاءة في سياق كلما وفيه تنويع الكلام ؛ لأن تَكْرَارَ الْإِضَاءَةِ يَسْتَلْزِمُ تَكْرَارَ الْإِظْلَامِ... علما أن مَرَاتِبَ الْإِضَاءَةِ مُخْتَلِفَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ فَذَكَرَ كُلَّمَا تَنْبِيهًا عَلَى ظُهُورِ التَّعَدُّدِ وَقُوَّتِهِ لِوُجُودِهِ بِالصُّورَةِ وَالنَّوْعِيَّةِ وَالْإِظْلَامُ نَوْعٌ وَاحِدٌ فَلَمْ يُؤْتَ بِصِيغَةِ التَّكْرَارِ لِضَعْفِ التَّعَدُّدِ فِيهِ بَعْدَ ظُهُورِهِ بِالنَّوْعِيَّةِ وَإِنْ حَصَلَ بِالصُّورَةِ[3]

وجاءت بالصيغة الإسمية بلفظ ضياء في كل من سورة يونس والأنبياء والقصص ففي سورة يونس جاءت بلفظ الضياء: ويقصد به النور الساطع القوي، لأنه يضيء للرائي. وهو اسم مشتق من الضوء، وهو النور الذي يوضح الأشياء، فالضياء أقوى من الضوء، وياء (ضياء) منقلبة عن الواو لوقوع الواو إثر كسرة الضاد فقلبت ياء للتخفيف[4]... فجعل الشمس ضياء؛ لانتفاع الناس بضيائها في مشاهدة ما تهمهم مشاهدته بما به قوام أعمال حياتهم في أوقات أشغالهم[5]

(١) ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ): مكتبة وهبة:ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م:٢/ ٣٢١.

(٢) ينظر: المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٦ هـ:١/ ١٠.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه:٤/ ٢٠٤.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير :١١/ ٩٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

وقد ذكر أن الشمس ضياء؛ لأن الضوء ذاتيا أما النور فإنه يكون مكتسبا وهذه حقيقة علمية[١] .

أما صيغة الضياء في سورة الأنبياء فإنها جاءت لتبين حقيقة التَّوراة الذي كان ضياءً يُضيء هدى ونوراً[٢]، وفي سورة القصص جاءت أيضا بالصيغة الإسمية والتي تدل على الثبوت وقد جاءت هذه الصيغة في سياق الإستفهام استدلالا على انفراده تعالى بالإلهية بصفات ذاته إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته، وفي ضمن هذا الاستدلال إدماج الإمتنان على الناس وللتعريض بكفر المشركين جلائل نعمه.

- **استدلالا بتعاقب الضياء والظلمة**[٣]

وجاءت بصيغة الفعل المضارع في سورة النور (يضيء) والذي يدل على الحدوث والتجدد ليدلل على أن الزيت الذي ذكره لصفائه وبريقه ولمعانه كأنه يضيء بنفسه دون أن تمسه النار؛ لأن الزيت إذا كان خالصا صافيا ثم رئي من بعد يرى كأن له شعاعا، فإذا مسته النار إزداد ضوءا على ضوء[٤]، وبهذا يتبين لنا أن لفظة الإضاءة جاءت بصيغة متعدد لتدل على معان حسب السياق الذي جاءت فيه.

---

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن:١٢/ ١٦١.و عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: على أحمد عبد العال الطهطاوى: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م:٧٨.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)تحقيق: صفوان عدنان داوودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت:ط١، ١٤١٥ هـ:٧١٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير:٢٠/ ١٦٩.

(٤) ينظر:تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر:ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م:١٨/ ١٠٨.

المطلب الثالث

الألفاظ ذات الصلة (المقاربة)

لقد جاءت ألفاظ مقاربة للفظة الإضاءة في القرآن الكريم والتي تشكل إحدى معانيها وقد تكون بينهما عموم وخصوص فتظهر اللفظة في دلالتها على المعنى الذي يجسده القرآن الكريم بدقة متناهية لإخراج اللفظة في سياقها الذي سيقت من أجلها والتي تدل على توسع معنى اللفظة بما إحتوته من معان قريبة وبعيدة مقصودة في آن واحد ومن هذه الألفاظ:

أولا : ((النور مفرد معه أنوار))[1]: وهو في اللغة الضياء، وفعله الثلاثي نار وأنار ونورا[2]، وأنار الشيء وإستنار بمعنى، أي : أضاء. والتنوير: الإنارة. والتنوير: الإسفار[3]

قال ابن فارس: «النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات». منه النور والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة؛ ولأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة. وتنورت النار: تبصرتها»[4]

يتبين لنا مما تقدم أن النور الضياء مترادفان لغة.وقد يفرق بينهما بأن الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفادا من غيره.فالنور أعم من الضياء ؛ لأن الضياء ما يتخلل الهواء من أجزاء النور فيبيض بذلك والشاهد أنهم يقولون ضياء النهار

(١) الصحاح:٢ مادة (نور) / ٨٣٨.
(٢) ينظر: كتاب العين:٨/ ٢٧٥.
(٣) الصحاح:مادة (نور) ٢ / ٨٣٨.
(٤) مقاييس اللغة :مادة(نور):٥/ ٣٦٨.

ولا يقولون نور النهار إلا أن يعنوا الشمس فالنور الجملة التي يتشعب منها[1]

والنور يختصّ بالمنير بالواسطة كالقمر والضوء بالمضيء بالذات[2]، فَفِي الضَّوْءِ دَلَالَةٌ عَلَى الزِّيَادَةِ فَهُوَ أَخَصُّ مِنَ النُّورِ وَعَدَمُهُ لَا يُوجِبُ عَدَمَ الضَّوْءِ[3]

أما النور في الاصطلاح فهو: كيفية يدركها الباصرة أولا وبواستطها سائر المبصرات[4].

ثانيا: الإشراق: مصدر أشرق يشرق إشراقا وشروقا بمعنى أضاء وفعله الثلاثي شرق وقد ذكر ابن فارس أن أصل الشروق واحد والذي يكونه:» الشين والراء والقاف يدل على إضاءة وفتح. ومنه يقال شرقت الشمس، إذا طلعت. وأشرقت، إذا أضاءت. والشروق: طلوعها وسميت أيام التشريق بذلك؛ لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها للشمس[5] ، ويقال :أشرقت الشَّمْس: أضاءت وانبسط.وَقيل: شَرقَتْ، وأشرقت: طلعت[6].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر:٣١١.

(٢) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت: ط١ – ١٩٩٦م:٢/ ١٧٣١.

(٣) البرهان في علوم القرآن:٣/ ٤٠٢.

(٤) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت:ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م:٣/ ٢٩٤.

(٥) ينظر:مقاييس اللغة:مادة(شرق):٣/ ٢٦٤.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية – بيروت:ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م:٦/ ١٦٢.

يتبين لنا أن الشروق يدل على الإضاءة فبينهما خصوص وعموم فكل شروق هو إضاءة وليس كل إضاءة شروق وهما مترادفان والله تعالى أعلم.

أما في الاصطلاح ((فإن الإشراق هو الإضاءة)) [1].

ثالثا:النار: أصلها من نَوَرَ وهو فعلها الثلاثي ومعناها وجمعها نيران وهي كما ذكرها ابن فارس تكون في أصل اشتقاقها مع نور وقد تكلمنا عليها في كلمة النور لذا فإن علاقتها مع الضياء كونهما مترادفان إلا أن النار فيه حرارة وحرقة ليست في النور ولهذا قيل في تعريفها اصطلاحا: ((عنصُر طبيعيٌّ فعّال، يُمثِّله النُّورُ والحرارةُ المحرقة، وتطلق على اللَّهب الذي يبدو للحاسّة، كما تطلق على الحرارة المحرقة، شيء مُحرِق مضيء، ناجم عن احتراق المادَّة))[2] .

المبحث الثاني

أثر الإضاءة في تصوير الضلال بعد الهدى، وضياع الجهد سدى

لقد جاءت كلمة الإضاءة في القرآن لتؤكد حقيقة الهدى الذي أراده الله للإنسان في هذه الحياة ليعيش في حالة من الاطمئنان والرضا والتي توصله إلى نهاية المطاف إلا أن هناك فئة لا ترتضي هذا الهدى فانحرفت عما أراده الله لها فقد حرمت نفسها من أداء مهمتها فيما خلقت من أجله، وما هيئت له من تحقيق الكرامة لها، والفوز بالسعادة الروحية، وسلامة الاعتقاد، وذلك بأعمالها وسلوكها في الحياة، ذلك السلوك والعمل الذي جانب الصواب ... فكانت ظالمة لنفسها ولمن قادتها فهي معول هدم لهذه الحياة التي أوجدها

(١) التوقيف على مهمات التعاريف:٥٢.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة:٣/ ٢٣٠٣.

الله[1]، فجاءت آيات كثيرة تصور هذا الإنسان في انتكاسه عن الفطرة وتنكره لعقيدته وكونه يشكل إحدى الفئات التي يطلق عليها اسم النفاق ولكي ينتبه المؤمنين لهذا الفئة التي تنخر في الأمة وتصدهم عن سبيل الله فقد صورهم تصويرا دقيقا

فكشفت حقائق نفوسها عن طريق ضرب الأمثال يتغلغل إلى الأعماق فيكشف نوازعهم، ونبضاتهم، ويميط اللثام عن أدقّ حالاتهم، وأحوالهم[2]. يقول الله تعالى في تمثيل حال المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾[3].

هذه الآيات تعطينا صورة صنفين من المنافقين، فيهم بقية من رجاء، ورمق من حياة، أصاخوا- بحواسّهم ومشاعرهم- إلى صوت الإيمان الحق، ثم نكصوا على أعقابهم. وذلك نتيجة صراع داخلي، فهم يتعبدون الله على حرف، يقتبسون من تعاليم الله ما يروق لهم، ما إن يسيرون خطوات حتى تتهاوى أقدامهم وتتعثر خطاهم، وتبقى الصراعات محتدمة بين رغبات كثيرة.

- **فنحن أمام صنفين من المنافقين:**

الأول: هم صنف آتاهم الله الهدى، فعملوا به، وجنوا ثمره، وصلح حالهم عليه، ما داموا مستقيمين، آخذين بمبادئه، لكنّهم انحرفوا عن المسار حين ظنوا أنّهم خصّوا بما أتوا،

(١) ينظر: عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: على أحمد عبد العال الطهطاوى: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م:٢٣٥.

(٢) ينظر: موسوعة علوم القرآن: عبد القادر محمد منصور: دار القلم العربى - حلب: ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م:٢٥١.

(٣) سورة البقرة من الآية:١٧- ١٩.

وامتازوا على غيرهم به. وتجاوزوا الحدّ أكثر، حين زعموا: أنّ فهمهم لا يرتقي إليه إلّا أفراد من رؤساء الدين.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[1]. فالإضاءة كان ارتباطها بالهدى الذي جاءهم عن طريق الوحي والرسول فمثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل تائه في ظلمات البيداء استوقد نارا يهتدي بها، فلما أضاءت ما حوله أطفأها الله. لقد كان هؤلاء المنافقون حيارى يتخبطون، فتظاهروا بالإيمان ليسلموا من القتال ويحققوا المغانم، فكان فعلهم هذا كفعل التائه الذي استوقد نارا، وما كادوا يركنون إلى هذا الوضع الزائف حتى فضحهم الله وكشف أمرهم، وذهب بنورهم الذي استوقدوه- بإظهار الإيمان- وتركهم كما كانوا حيارى في ظلمات جهلهم وضلالهم يتخبطون[2].

فقد ذهب بنورهم، ولم يقل: بنارهم؛ فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهذا حال مَن أبصر ثم عَمِيَ، وعرف ثم أنكر أبصر الحق وتنكر له وعرف حقيقة الإيمان وأنكره[3].

أما الصنف الثاني: فهم بقي فيهم بصيص نور، تلمح له معاني التنزيل، ما بين الفينة والأخرى، حينما تحركه الفطرة أو تدفعه الحوادث.

لكنّه باق على التقليد والبدع في ظلمات حوالك، ويخبط في المهالك، يتحيّر في السبيل،

---

(١) سورة البقرة : آية: ١٧.

(٢) ينظر: في علوم القرآن دراسات ومحاضرات: محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف: دار النهضة العربيه - بيروت:١٩٢.

(٣) ينظر: الأصلان في علوم القرآن: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف:ط٤ مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م:٣٤٦.

ولا يدري أين يذهب؟[1] فقال الله تعالى عنهم: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]

الآية تصور حالة الخوف والفزع والقلق التي كان يحياها هؤلاء المنافقون، في موقف كانت تنفعهم فيه الاستقامة لو سلكوا سبيلها.

فالمراد من الصيّب هو الإيمان والقرآن. أما الظلمات والرعد والبرق فهي الأمور الشاقة على المنافقين مثل التكاليف من صيام وصلاة، وترك الرئاسات، والجهاد مع الآباء والأمهات، وترك الأديان القديمة، والانقياد للنبي مع شدة استنكافهم عن الانقياد له. فكما أن الإنسان يبالغ في الاحتراز عن المطر الصيب الذي هو أشد الأشياء نفعا بسبب ما يقترن به من ظلمات ورعد وبرق، فكذا المنافقون يجتنبون الإيمان والقرآن بسبب هذه الأمور التي تقترن بهما.

وفي الآية تصوير لهول المطر وما اقترن به من ظلمات متراكمة، وما تخلله من رعد يبث الفزع في النفوس، وبرق يخطف الأبصار ثم يتركهم في ظلمة لا يبصرون، والظلام بعد النور أقسى من الظلمة المستمرة، إذ يترك البصر أكثر عجزا عن اختراق جدار الظلام. وهؤلاء المنافقون يسلكون سلوكا أحمق، يظنون أنه ينجيهم، إذ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، فهذا التصرف لا ينجي، كذلك هم حسبوا أن التظاهر بالإيمان ينجيهم من أخطار الكفر[3]، فإنَّه شبَّه حالهم في ضعف نفوسهم والبلبال المسيطر

(١) ينظر:موسوعة علوم القرآن: عبد القادر محمد منصور: دار القلم العربى - حلب: ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م:٢٥١.

(٢) سورة البقرة : اية : ١٩-٢٠ .

(٣) ينظر: موسوعة علوم القرآن: ٢٥١.

عليهم واضطراب أحوالهم بحال قوم أصابهم مطر لم يكن غيثًا منقذًا، بل مرهبًا ومفزعًا، فكانوا في خوف واضطراب من غمام مظلم، وريح عاصف، ورعد قاصف، وبريق خاطف، فهو تصوير لفزعهم من البرق، وتصوير لكون أسباب الهداية بين أيديهم، وهي في ذاتها مضيئة، ولكنها تظلم عليهم فيقيمون على نفاقهم، ويستمرون في غيهم، والله قاهر فوقهم[1]، إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة، مشوب بالاضطراب. فيه تيه وضلال، وفيه هول ورعب، وفيه فزع وحيرة، وفيه أضواء وأصداء.. صيب من السماء هاطل غزير ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ ﴾ .. ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ .. ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾.. أي :((وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون. وهم مفزعون)) [2] .

وهكذا تترد أحوالهم بين الإيمان والكفر، إلى أن يموتوا على هذا النفاق. هذا هو المثل الذي ضربه الله لهؤلاء المنافقين في شكِّهم وترددهم، ومطابقة المثل لما هم فيه وعليه واضحة، فهؤلاء القوم جاءوا كغيرهم إلى هذه الدنيا، فنشئوا في بيئة جاهلية تعبد الأصنام والأوثان، وبينما هم كذلك إذ جاءهم رسول كريم ونبي عظيم، هو محمد ﷺ يدعوهم إلى الله الواحد الأحد، ويطلب منهم أن يؤمنوا به وبرسالته وما جاء به، ومعه من قوة الحجة ونصاعة الدليل ما يقنع العقل والقلب[3].

(١) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي:١٨٥.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): دار الشروق - بيروت- القاهرة:الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ:١/ ٤٦.

(٣) التفسير الموضوعي ٢: مناهج جامعة المدينة العالمية: جامعة المدينة العالمية:٣٠٦.

المبحث الثالث

ضياء الشمس ديمومة النهار

لقد ذكر الله تعالى الشمس في آيات كثير ووصفت بالضياء؛ لأنّ نورها يصدر منها وليس من غيرها، فهي ضياء أو سراج متوهج. أما القمر، فنوره مكتسب من ضوء الشمس، لذلك يوصف دائما بالإنارة دون سواها[1].

وفي القرآن الكريم عرض صورة الشمس والقمر، متجاورين في التعبير، للدلالة على فوائدهما، وتسخيرهما للإنسان، وتوضيح الحقائق الدينية من خلالهما ، فالجرم المضيء يسمى مصباحاً كالشمس، والنجوم الزاهرة المتوهجة. ولا يقال للضوء والشعاع مصباح. كما لا يقال للجرم المنور بلا إضاءة وتوهج مصباح.

وقد فرق الله سبحانه بين الأجرام المتوهجة المتقدة المضيئة، وبين الأجرام المنورة بسبب انعكاس أشعة الضوء عليها في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[2]

وقد امتن الله على الناس في آية أخرى بضياء النهار الذي تحققه الشمس بنسخها الليل بالنير الأعظم والذي هو أبلغ في المنافع وأضمن للمصالح من نسخ ضوء النهار بالليل ألا ترى أن الجنة ضوء نهارها دائم لا ليل معه؛ لأن الليل في دار التكليف للاستراحة والاستعانة بالجَمام والراحة على ما يلزم من الكلَف المتعِبة والمشاق المُنصبة. ودار النعيم يستغنَى فيها عن ذلك؛ لأنها مقصورة على نيل المشتهى وعلى ما تلتذّ به النفس وتهوى،

(١) ينظر:وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب:ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م:٢١٠.

(٢) سورة يونس من الآية:٥.

فتقديم ذكر الليل لانكشافه عن النهار الذي يمكّن من التصرف في المعايش والسعي في المصالح إلى ما لا يحصى كثرةً من المنافع المتعلقة بالشمس أحقُّ وأولى[1]

لأن بضياء النهار يتوصل إلى استبانة أعمال والتصرف في المعاش فقال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾[2] .، في هذه الآية يؤكد الله سُبْحَانَهُ أنه هُوَ الْجَاعِلُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَأَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ جَعْلَ اللَّيْلِ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ صَارَ اللَّيْلُ كَأَنَّهُ سَرْمَدٌ بِهَذَا التَّقْدِيرِ وَظَرْفُ اللَّيْلِ ظَرْفٌ مُظْلِمٌ لَا ينفذ فيه البصر لاسيما وَقَدْ أَضَافَ الْإِتْيَانَ بِالضِّيَاءِ الَّذِي تَنْفُذُ فِيهِ الْأَبْصَارُ إِلَى غَيْرِهِ وَغَيْرُهُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَصَارَ النَّهَارُ كَأَنَّهُ مَعْدُومٌ إِذْ نُسِبَ وُجُودُهُ إِلَى غَيْرِ مُوجِدٍ وَاللَّيْلُ كَأَنَّهُ لَا موجود سواه إذ جعل سَرْمَدًا مَنْسُوبًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَاقْتَضَتِ الْبَلَاغَةُ أَنْ يَقُولَ ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لِمُنَاسَبَةِ مَا بَيْنَ السَّمَاعِ وَالظَّرْفِ اللَّيْلِيِّ الَّذِي يَصْلُحُ لِلاسْتِمَاعِ وَلَا يَصْلُحُ لِلْإِبْصَارِ[3]، فمن أجل نعم الله تعالى على عباده تعاقب الليل والنهار بما يتناسب مع حاجة الجسد من الراحة والسكن، وحشد الطاقة وتجديدها في سكن الليل والنوم فيه، وبما يتلاءم مع مطالب الحياة من كدٍّ وسعي وتحصيل، وتمتع الإنسان بما لذَّ وطاب من متاع الحياة الدنيا في النهار؛ لذلك وجب على الإنسان أن يشكر ربه؛ فيسبح الوهاب المنعم على عباده بهذه النعم بالليل والنهار، وينزِّه الله -عز وجل- بالوحدة والتقديس[4]، فتوالي الليل والنهار رحمة بالعباد بما يتناسب مع طبيعة أجسامهم وقدراتهم، ففي الضياء

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م:٩٩٣.

(٢) سورة القصص : اية : ١٧.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن:١/ ٨٢.

(٤) ينظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: علي علي صبح: المكتبة الأزهرية للتراث:١٢٩.

معاشهم وفي الليل سكنهم. فالمصدر الرئيس للضياء ، ذلك الضياء الذي تدركه حواسنا، هو الشمس، والشمس كتلة نارية من اللهب المتقد المضيء، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الشمس بأنها ضياء[1]

وفي هذا الوصف امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه... وفيه تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على الله، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر[2].

(١) ينظر: القرآن وعلوم الأرض: محمد سميح عافية: الزهراء للإعلام العربي: الأولى ١٤١٤ هـ-١٩٩٤ هـ:١٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة: ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م:٦٢٣.

المبحث الرابع

علاقة الإضاءة بالهداية وأثرها في ضرب المثل لله تعالى

تتضح علاقة الإضاءة بالهدية في المثل الذي ضربه الله في سورة النور في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]

وإذا تأملت الآية الكريمة رأيتها فقد أخذت تصف ضوء هذا المصباح وتتأنق في وصفه، بما يصور لك قوته وصفاءه، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة، تجعله يتلألأ كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فأصله شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب، فصفا لذلك زيتها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسسه نار. ألا ترى أن هذا المصباح جدير أن يبدد ظلمة الليل، ومثله جدير أن يبدد ظلام الشك، ويمزق دجى الكفر والنفاق. وقد ظهر بما ذكرناه جمال هذا التشبيه ودقته وبراعته... فالنور مراد به نور يغمر القلب، ويشرق على الضمير، فيهدى إلى سواء السبيل ، يلقى عليه ضوءه، فيهتدى إلى الحق، وأقوم السبل، وهو تشبيه فيه إيحاء بحالة القلب وقد لفه ظلام الشك، فهو متردد قلق خائف، ثم لا يلبث نور اليقين أن يشرق عليه، فيجد الراحة والأمن والاستقرار، فهو كساري الليل يخبط في الظلام على غير هدى، حتى إذا أوى إلى

(١) سورة النور الآية:٣٥.

بيته فوجد هذا المصباح في المشكاة، وجد الأمن سبيله إلى قلبه، واستقرت الطمأنينة في نفسه، وشعر بالسرور يغمر فؤاده[1]

فعلاقة الضوء بالهداية واضحة فقد جعلت المثل واضح للعيان ففي هذه الآية تجسيد حي للمعنويات بالأمور الحسية فالنور الذي يجعله في قلوب عباده المؤمنين جزاء تصديقهم وقبولهم لما نزل من البينات، وتعلمهم لها، وعملهم بها، مبيناً في المثل حقيقة ذلك النور، ومادته التي تغذيه، وأثره في استنارة القلب وبصيرته... ثم ذكر سبحانه شاهداً على أثر ذلك النور وذلك الضياء المشبه به في ذكر بعض صفات عباده المؤمنين الذين استنارت قلوبهم بذلك النور، فأكسبها البصيرة، وكشف لهم أحاسن الأعمال فلزموها، وأراذلها فتجافوا عنها[2]

قال ابن جرير:((يَكَاد زيت هذه الزيتونة يضيء - من صفائه،وحسن ضيائه -)) ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ يقول: فكيف إذا مسته النار))[3]

فالزيت من صفائه وحسنه يشرق ويتنور من انعكاس ضوء المصباح أو غيره عليه.

فهو إذاً ذا نور، لكنه ليس ناتجاً عن إضاءة وإنما ناتج عن انعكاس الضوء الوارد عليه من غيره. يؤيد هذا المعنى قوله: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ أي: يَكَاد من تنوره وإشراقه أن يتقد[4].

---

(١) ينظر: من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ): نهضه مصر - القاهرة: ٢٠٠٥: ١٥١.

(٢) ينظر : الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية:ط١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م:٢/ ٢٧٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة:ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م:١٩/ ١٨٨.

(٤) ينظر:الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله:٢/ ٢٩٦.

يتبين لنا أن الله يضرب الأمثال للناس، ليقرب لهم المعقول من المحسوس، وهو سبحانه بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عن علمه شيء. فهداية الله قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات. فحجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ،ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن إليهم؛ منبها لهم على توحيده، فكيف إذا نبههم به وذكَّرهم بآياته، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على البيان[1]

وقد ذكر الماوردي في إضاءة هذا الزيت أقولا أربعة

أحدها:أن صفاء زيتها كضوء النار وإن لم تمسسه نار، ذكره ابن عيسى. الثاني: أن قلب المؤمن يكاد أن يعرف قبل أن يتبين له لموافقته له، قاله يحيى بن سلام.

الثالث: يكاد العلم يفيض من فم العالم المؤمن من قبل أن يتكلم به.

الرابع: تكاد أعلام النبوة تشهد لرسول الله ﷺ قبل أن يدعو إليها))[2].

وقد فسر ابن عباس هذه الآية بقوله: ((يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورًا على نور))[3]، فالضياء، وهو الذي يبين الأشياء ويري الأبصار حقيقة ما تراه.هكذا تتجلى لنا حقيقة الهداية في قلب المؤمن الذي يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه ازداد نورا على

(١) ينظر:جامع البيان في تأويل القرآن:١٩/ ١٨٨.

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان:٤/ ١٠٥.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.:ط١ ، ١٤٣٠ هـ:١٦/ ٢٨٣.

نور وهدى على هدى بضرب المثل بالزيت الذي لصفائه وبريقه ولمعانه كأنه يضيء بنفسه دون أن تمسه النار، لأن الزيت إذا كان خالصا صافيا ثم رئى من بعد يرى كأن له شعاعا، فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء[1].

فالله تعالى يسوق الأمثال للناس في تضاعيف هدايتهم بحسب ما تدعو إليه حالهم، لما فيها من الفوائد في النصح والإرشاد، إذ بها تتفتّق الأذهان للوصول إلى الحق، وبها تأنس النفس بتصويرها المعاني بصور المحسوسات التي تألفها وتدين بها[2].

(١) ينظر: تفسير المراغي:١٨/ ١٠٨.
(٢) ينظر: المصدر نفسه.

الخاتمة

في آخر المطاف نحط رحالنا في الفقرة الأخيرة والتي تعد خاتمة للبحث لرصد أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة والتي تتجلى بالآتي:

أولا:حقيقة الإضاءة تتجلى في الإنارة والإشراق والإظهار وكلها معان رصدت في الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة.

ثانيا:هناك ألفاظ قاربت لفظة الإضاءة والتي وجدت في آيات من القرآن الكريم والتي تعد الإنارة والظهور والإشراق هي إحدى مرتكزاتها.

ثالثا:جاءت ألفاظ الإضاءة على صيغ مختلفة منها صيغ فعلية وأخرى اسمية وثالثة وهي أساسها مصدرية.

رابعا:حقيقة الإضاءة جاءت في الآيات القرآنية عن طريق ضرب الأمثال التي تتغلغل إلى الأعماق فتكشف نوازع، ونبضات قلوب المهتدين ، ويميط اللثام عن أدقّ الحالات، والأحوال التي عليها أهل الضلال.

خامسا: قد امتن الله على الناس في آيات كثيرة بضياء النهار الذي تحققه الشمس بنسخها الليل بالنير الأعظم والذي هو أبلغ في المنافع وأضمن للمصالح من نسخ ضوء النهار بالليل مما يدلل على ديمومة الضياء لهذا الكون إلى نهايته.

سادسا:لقد تكشفت الدراسة عن علاقة الإضاءة بالهداية وأثرها في ضرب الأمثال لما فيها من الفوائد في النصح والإرشاد، إذ بها تتفتّق الأذهان للوصول إلى الحق، وبها تأنس النفس بتصويرها المعاني بصور المحسوسات التي تألفها وتدين بها.

المصادر المراجع

- القرآن الكريم.

١.الأزمنة وتلبية الجاهلية: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقُطْرُب (ت: ٢٠٦هـ)المحقق: د حاتم صالح الضامن: مؤسسة الرسالة: ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢.الأصلان في علوم القرآن: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف:ط٤ مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٣.الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية:ط١ ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

٤.البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٥.التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر - تونس: ١٩٨٤ هـ.

٦.التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية: علي علي صبح: المكتبة الأزهرية للتراث.

٧.التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه: عمادة البحث العلمي

- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.:ط١ ، ١٤٣٠ هـ.

٨.تفسير الماوردي = النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٩.تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر:ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٠.التفسير الموضوعي ٢: مناهج جامعة المدينة العالمية: جامعة المدينة العالمية.

١١.التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة: ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

١٢.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة: ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

١٣.جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة:ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤.خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى): عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ): مكتبة وهبة:ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

١٥.درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد

البحوث العلمية مكة المكرمة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٦.دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت:ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٧.عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: على أحمد عبد العال الطهطاوى: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٨.الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

١٩.في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ): دار الشروق - بيروت- القاهرة:الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ:١/ ٤٦.

٢٠.في علوم القرآن دراسات ومحاضرات: محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف: دار النهضة العربيه - بيروت.

٢١.القرآن وعلوم الأرض: محمد سميح عافية: الزهراء للإعلام العربي: الأولى ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ هـ

٢٢.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)المحقق: عدنان درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٣.المجتبى من مشكل إعراب القرآن: أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٦ هـ.

٢٤.المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١،

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٥.المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي.

٢٦.معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: عالم الكتب: ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٢٧.مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨.من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ): نهضه مصر - القاهرة: ٢٠٠٥:.

٢٩.موسوعة علوم القرآن: عبد القادر محمد منصور: دار القلم العربى - حلب: ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٠.موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي:الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت: ط١ - ١٩٩٦م.

٣١.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)تحقيق: صفوان عدنان داوودي: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت:ط١، ١٤١٥ هـ.

٣٢.وظيفة الصورة الفنية في القرآن: عبد السلام أحمد الراغب: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب:ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.